

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

ما زال الكلام في بَابِ النَّهْيِ عَنِ الْكَلَامِ فِي الْكَيْفِيَّةِ.

الحديث الخامس: (عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ خَالِدٍ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْمِيَّاحِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ مَنْ نَظَرَ فِي اللَّهِ كَيْفَ هُوَ هَلَكَ^(١)).
هذه الرواية الشريفة تتضمن مطلبين:

المطلب الأول: أن النهي المستفاد من هذه الروايات وهو النهي عن الكلام في الله تبارك وتعالى نهي إرشادي ومولوي، أي أنه متضمن لحثيتين الإرشاد وحشية الردع والمولوية.

أما حثية الإرشاد: فالنهي عن الكلام في ذات الله تبارك وتعالى إرشاد لعدم الجدوى، أي أن التفكير في ذات الله تبارك وتعالى أو التفكير في عينية صفاته لذاته هذا التفكير لن يصل إلى شيء، أي لن يصل إلى معرفة حقيقية باعتبار عجز الإنسان عن إدراك ذاته تعالى أو إدراك صفاته العينية، فلأجل عجز الإنسان عن ذلك فهذه الروايات ترشد إلى عدم الجدوى نتيجة العجز عن إدراك المحدود للا محدود.

وأما أنه نهي مولوي: أي أنه متضمن لحثية الردع والزجر، فلأن النظر في ذات الله مع عدم قدرة الإنسان على الوصول إلى المعرفة الحقيقية يؤدي لا محالة إلى الاعتقاد بما ليس حق والاعتقاد بما ليس حقاً كفر، فلأجل أن النظر يؤدي إلى محذور الكفر نهي عنه، النهي زجر وردع بلحاظ استلزامه للوصول إلى محذور وهو محذور الكفر، لأجل ذلك تم النهي عنه.

المطلب الثاني: أنه ليس المقصود بالنظر في الرواية الشريفة مجرد التصوّر الساذج بمعنى أن الإنسان يتصور ذات الله أو يتصور صفات الله، بل المقصود بالنظر المنهي عنه والمترتب عليه الهلاك حيث قال -مَنْ نَظَرَ فِي اللَّهِ كَيْفَ هُوَ هَلَكَ- المقصود بالنظر النظر الطريقي النظر التصديقي، أي استخدام النظر آلة وأداة للوصول إلى الواقع، فاستخدام النظر للوصول إلى الواقع هذا هو المنهي عنه، باعتبار أن مجرد التصوّر الساذج قد لا يكون موجبا لمحذور أو يكون أمراً قهرياً في الإنسان، أن الإنسان متى ما سمع لفظ الله تبارك

(١) أصول الكافي للشيخ الكليني/ كتاب التوحيد/ بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْكَلَامِ فِي الْكَيْفِيَّةِ: ١/ ٩٣/ ح ٥.

وتعالى انتقل ذهنه إلى صورة من الصور، هذه الصورة القهرية التي ترسم في ذهن الإنسان إذا سمع اللفظ ليس هو المنهي عنها، هذا تصور ساذج يرتسم قهرا في ذهن الإنسان، إنما المنهي عنه النظر التصديقي أي استخدام الفكر للوصول إلى نيل ذاته تبارك وتعالى، أو الوصول إلى نيل صفاته العينية تبارك وتعالى، فهذا النظر التصديقي هو محط المحاذير سواء كانت محذور التجسيم أو محذور الكفر وأشباه ذلك من المحاذير.

الحديث السادس: (مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عِيسَى عَنْ ابْنِ فَضَالٍ عَنْ ابْنِ بُكَيْرٍ عَنْ زُرَّارَةَ بْنِ أَعْيَنَ -وهو حديث تام السند- عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: إِنَّ مَلِكًا عَظِيمَ الشَّانِ كَانَ فِي مَجْلِسٍ لَهُ فَتَنَّاوَلَ الرَّبَّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَقَقَدَ فَمَا يُدْرِي أَتَيْنَ هُوَ - أَوْ فَقَقَدَ فَمَا يُدْرِي أَتَيْنَ هُوَ) (٢).

باعتبار أنه تصدى لنيل ذاته تبارك وتعالى، أو تصدى لدعوى إحاطته بذات الله تبارك وتعالى لذلك دخل في ما لا يمكنه الولوج فيه، دخل في ما لا يمكنه الوصول إليه، لهذا ترتبت النتيجة وهي إحدى معنيين: المعنى الأول: -فَقَقَدَ فَمَا يُدْرِي أَتَيْنَ هُوَ- عمل قامت به الملائكة في إبعاده لتفهيمة عجزه ولتفهيمة عدم قدرته على ما ادعاه وما زعمه.

المعنى الثاني: -فَقَقَدَ فَمَا يُدْرِي أَتَيْنَ هُوَ- يعني وصل فكره إلى مرحلة أنه لا يسيطر على حواسه ولا يسيطر على مدركاته ولا يقدر أن يسيطر على ضبط جوارحه، فَقَدَ القدرة فما يدري أين هو، حيث ولج فيما لا يمكن الولوج فيه فَقَدَ القدرة على السيطرة فلا يدري أين هو.

وكلاهما مناسب لكونه ملكا عظيم الشأن، فهو من جهة ملك عظيم الشأن له قوى وله جنود ومع ذلك لم تُجِدْ جنوده في أن تسيطر عليه الملائكة وتبعده عن مكانه لبيان عجزه، أو أنه ملك عظيم الشأن مع ذلك هذا الملك العظيم الشأن ذو القوة المادية فَقَدَ السيطرة على حواسه وعلى مدركاته ولم تُجِدْ قوته ولا جنوده فَقَقَدَ فَمَا يُدْرِي أَتَيْنَ هُوَ.

الحديث السابع: (عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ خَالِدٍ عَنْ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ رَزِينٍ عَنْ مُحَمَّدٍ بْنِ مُسْلِمٍ -أيضا السند معتبر- عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: إِيَّاكُمْ وَالتَّفَكُّرَ فِي اللَّهِ وَلَكِنْ إِذَا أَرَدْتُمْ أَنْ تَنْظُرُوا إِلَى عَظَمَتِهِ فَانْظُرُوا إِلَى عَظِيمِ خَلْقِهِ) (٣).

وهذه الرواية سبق بيانها فيما مضى -إِيَّاكُمْ وَالتَّفَكُّرَ فِي اللَّهِ- أي التفكير في أمور ثلاثة: ذاته، عينية صفاته لذاته، سنخ علقته بمخلوقاته، هذه الأمور الثلاثة مبهمة من المستحيل أن يصل الإنسان المحدود إلى نيلها،

(٢) أصول الكافي للشيخ الكليني/ كتاب التوحيد/ بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْكَلَامِ فِي الْكَيْفِيَّةِ: ١/ ٩٣/ ح ٦.

(٣) أصول الكافي للشيخ الكليني/ كتاب التوحيد/ بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْكَلَامِ فِي الْكَيْفِيَّةِ: ١/ ٩٣/ ح ٧.

لأن هذه الأمور مبهمة باب مغلق باب مسدود لا يمكن للذهن المحدود أن ينالها على واقعها أو ينالها على حقيقتها، نعم يمكن أن يتصور تصورات عامة أما الوصول إلى معرفتها فهو باب مسدود.

-ولَكِنْ إِذَا أَرَدْتُمْ أَنْ تَنْظُرُوا إِلَى عَظَمَتِهِ فَانْظُرُوا إِلَى عَظِيمِ خَلْقِهِ- هذه العبارة ترشد أنه حتى لا يمكنكم النظر إلى عظمته، يعني كما لا يمكنكم معرفة ذاته ولا يمكنكم معرفة صفاته حتى معرفة عظمته لا يمكن، إذ كيف يمكن أن يحيط المخلوق الصغير الحقير بعظمة الخالق العظيم غير ممكن، عقلا لا يمكن أن يحيط المخلوق الصغير بعظمة الخالق العظيم، أنتم لا يمكنكم الوصول حتى إلى عظمته تبارك وتعالى، ولكن انظروا إلى عظيم خلقه فاستدلوا بعظيم خلقه على عظمته (لا الشَّمْسُ يَنْبُغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَ لَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ)^(٤) عظيم خلقه يرشد إلى عظمته، أما ما هي عظمته، حقيقتها، مقدارها؟ شيء لا يمكن الوصول إليه، غاية ما يمكنكم على نحو الدليل لإثبات الاستنارة بعظيم خلقه على عظمته تبارك وتعالى.

الحديث الثامن: (مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ رَفَعَهُ- حديث مرفوع- قَالَ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ أَكَلَ قَلْبَكَ طَائِرٌ لَمْ يُشْبِعْهُ وَبَصْرُكَ لَوْ وَضَعَ عَلَيْهِ خَرْقٌ إِبْرَةَ لَغَطَّاهُ تُرِيدُ أَنْ تَعْرِفَ بِهِمَا- يعني ببصرك وقلبك- مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَهَذِهِ الشَّمْسُ خَلَقَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ فَإِنْ قَدَرْتَ أَنْ تَمْلَأَ عَيْنَيْكَ مِنْهَا فَهُوَ كَمَا تَقُولُ)^(٥).

هذه الرواية الشريفة التي نصّت على ضعف الجوارح وحقارتها، قلبك هذا الذي يدير بدنك، بدنك كله يعتمد على هذه القطعة الصنوبرية المسماة بالقلب، قلبك أيها الإنسان هذا القلب الذي يحركك ويحرك أفكارك ويحرك جوارحك قلبك هذا لا يساوي غذاء طائر، تصور هذا الإنسان الذي صنع الأجهزة ووصل إلى سطح القمر وفعل ما فعل هذا الإنسان قلبه لا يساوي غذاء طائر، قلبك لو أكله طائر لم يشبعه فما هي قيمة الإنسان، وبصره لو وضع عليه خرق إبرة لغطاه يعني البؤبؤ لا المقصود بالبصر العين، بل البؤبؤ الذي من خلاله تتحقق الرؤية، هذا البؤبؤ هذه النقطة الصغيرة الموجودة في عدسة العين هذه النقطة الصغيرة لو وضع عليها خرق إبرة غطاها فلا يمكنك النظر فمن أنت، بهذا المقدار حتى بصرك لا تستطيع النظر به لو غطاه خرق إبرة، هذا مستوى الصغر مستوى الحقارة لدى الإنسان، فتريد أيها الإنسان بهذا القلب الذي لا يساوي غذاء طائر وبهذا البصر الذي تقاومه رأس إبرة أن تعرف بهما ملكوت السماوات والأرض، إن كنت

(٤) سورة يس، آية ٤٠، صفحة ٤٤٢.

(٥) أصول الكافي للشيخ الكليني/ كتاب التوحيد/ بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْكَلَامِ فِي الْكَيْفِيَّةِ: ١/ ٩٣/ ح ٨.

صادقا فهذه الشمس خلق من خلق الله فإن قدرت أن تملأ عينيك منها فهو كما تقول.

سياق الحديث الذي بيّن ضعف الجوارح كناية عن أمور ثلاثة:

الأمر الأول: ضعف القوى الظاهرة يرشد إلى ضعف القوى الباطنة، لأن الحواس تستمد قوتها وطاقاتها من القوى الباطنة، جوارحك الظاهرية تستمد قوتها من جوارحك، فضعف القوى الظاهرية يرشد إلى ضعف القوى الباطنة، وضعف القوى الباطنة يعني عدم قدرتك على إدراك عظمة الله تبارك وتعالى، مع أن الله تبارك وتعالى كما ذكر في كتابه وسخرنا لكم ما في السماوات وما في الأرض^(٦) تستطيعون بما في السماوات وما في الأرض أن تصلوا إلى أمور لا يصل إليها جن ولا ملك ولا أحد أنت أيها الإنسان، وسخرنا لكم ما في السماوات وما في الأرض، هذا الكون ساحة مفتوحة لكم تستطيعون أن تنالوا منه ما تنالوا وتصلوا منه إلى ما تصلون، ولكن مع هذا التسخير التام لا يمكنكم الوصول إلى عظمته تعالى، والشاهد على أنه لا يمكنكم الوصول إلى عظمته تعالى مع أنه سخر لكم ما في السماوات وما في الأرض هو ضعف القوى الظاهرة الدال على ضعف القوى الباطنة، فضعف القوى الباطنة يعني عجزها وعدم قدرتها على الوصول إلى عظمته تبارك وتعالى.

الأمر الثاني: عندما يقول عليه السلام هذه الشمس التي هي أماننا والتي هي نجم من ملايين النجوم في هذا الكون، فهذه الشمس التي أماننا خلق من خلق الله، طبعاً في زمن الرواية الناس ترى أن الشمس هذه كل الكون ثم تبين أنها خلق من خلق الله، هذه الشمس خلق من خلق الله فإن قدرت أن تملأ عينيك بضوئها فهو كما تقول، وهذا كناية عن أنه إذا كان البصر عاجز عن إدراك الحسيات فكيف يمكنه إدراك ما هو ليس بمحسوس، أنت أيها الإنسان أمر حسي لا يمكنك أن تناله وهو نيل ضوء الشمس، بصرك لا يمكن أن ينال ضوء الشمس وضوء الشمس أمر حسي، إذا لم يمكن أن تدرك ما هو حسي فكيف يمكنك أن تدرك ما لا يخضع إلى الحس وهو الله تبارك وتعالى.

الأمر الثالث: التعبير بـ - تريد أن تعرف بهما ملكوت السماوات والأرض - فملكوت السماوات والأرض أو ما يعبر عنه بالملكوت في مقابل الملك، حيث عبر القرآن الكريم تارة بعنوان الملك (تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ)^(٧) وتارة عبر القرآن الكريم بعنوان الملكوت (فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ

(٦) حيث وردت عدة آيات كريمة بهذا المضمون منها: قوله تعالى في سورة لقمان، آية ٢٠ (أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً).

(٧) سورة الملك، آية ١، صفحة ٥٦٢.

تُرْجَعُونَ^(٨) حيث ذكرت ثلاثة معاني للفرق بين عنوان الملك والملكوت:

المعنى الأول: بحسب مصطلحات أهل المعقول عالم الملك هو عالم المادة، وعالم الملكوت هو عالم النفوس والأرواح، أي بنظرهم عالم الأجسام هو عالم الملك، وعالم النفوس والأرواح هو عالم الملكوت.

المعنى الثاني: أن المراد بالملك الوجود والمراد بالملكوت سر الوجود وشفرة الوجود، ذكر هذا بعض الأعلام في تفسير قوله تعالى (فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ) ملكوت كل شيء يعني شفرته، كل وجود له سر وشفرة وراءه، شفرة ذلك الوجود سواء كان إنسانا نباتا جمادا، شفرة ذلك الوجود هي ملكوته، فالله تبارك وتعالى كما أن بيده الوجود ذاته بيده شفرة هذا الوجود وسر هذا الوجود، ولذلك عطف عليه فقال (فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) لأن بيده السر لأن بيده الشفرة فبيده رده فبيده إرجاعه، كما أن بيده إنزاله بيده إرجاعه، قال تبارك وتعالى (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ)^(٩) هو عندنا لذلك استطعنا أن ننزله من مرتبة إلى مرتبة، ولأن شفرته عندنا نستطيع أن نرده مرة أخرى، (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ) وقال (فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) فرق بين الملك والملكوت.

المعنى الثالث: يظهر من بعض الروايات الشريفة أن الفرق بين الملك والملكوت هو العظمة عظمة الملك، يعني الملك هو هذا العالم عظمة الله في هذا العالم ملكوته، الملكوت هي عظمة عالم الملك، الملكوت هي هذه المضامين الإلهية التي يستجليها الإنسان من عالم الملك سواء أريد المعنى الأول من الفرق بين الملك والملكوت، أو المعنى الثاني أو المعنى الثالث لا يمكن للإنسان أن يصل إلى معرفة ملكوت السماوات والأرض، فضلا عن أن يصل إلى معرفة مالك الملكوت، ملكوت السماوات والأرض بأي معنى كان لا يمكن للإنسان أن يصل إليه فضلا عن أنه يصل إلى معرفة مالك ملكوت السماوات والأرض، نعم الله تبارك وتعالى خص أنبياءه وأوليائه بهذا النوع من المعرفة كما يظهر من الآية المباركة (وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ)^(١٠) فتح لهم بابا إلى المعرفة اليقينية من خلال رؤية ملكوت السماوات والأرض.

(٨) سورة يس، آية ٨٣، صفحة ٤٤٥.

(٩) سورة الحجر، آية ٢١، صفحة ٢٦.

(١٠) سورة الأنعام، آية ٧٥، صفحة ١٣٧.

الحديث التاسع: (عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عَنِ الْيَعْقُوبِيِّ -البعقوبي- عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا عَنْ عَبْدِ الْأَعْلَى مَوْلَى آلِ سَامٍ - الرواية فيها إرسال- عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: إِنَّ يَهُودِيًّا يُقَالُ لَهُ سُبَّخْتُ- أَوْ سُبَحْتُ- جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ جِئْتُ أَسْأَلُكَ عَنْ رَبِّكَ فَإِنْ أَنْتَ أَجَبْتَنِي عَمَّا أَسْأَلُكَ عَنْهُ وَإِلَّا رَجَعْتُ قَالَ سَلْ عَمَّا شِئْتَ قَالَ أَيْنَ رَبُّكَ قَالَ هُوَ فِي كُلِّ مَكَانٍ وَلَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنَ الْمَكَانِ الْمُحْدُودِ، قَالَ وَكَيْفَ هُوَ- سَأَلَ عَنِ الْإَيْنِ وَالْكِيفِ- قَالَ وَكَيْفَ أَصِفُ رَبِّي بِالْكِيفِ وَالْكِيفُ مَخْلُوقٌ وَاللَّهُ لَا يُوصَفُ بِخَلْقِهِ- إلى آخر الرواية الشريفة) (١١).

هذه الرواية الشريفة تشتمل على مقطعين:

المقطع الأول: (قَالَ أَيْنَ رَبُّكَ؟ قَالَ هُوَ فِي كُلِّ مَكَانٍ وَلَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنَ الْمَكَانِ الْمُحْدُودِ) ذكر العلامة المجلسي رحمه الله في مرآة العقول قال الأشياء على قسمين: (المفارقات المجردات وحضورها بالإحاطة العلمية، والمقارنات ذوات الأوضاع وحضورها بالحصول الأيني والمقارنة في الأمكنة، وحضور الحق من الأول لا الثاني) (١٢) هذا الكلام من الشيخ المجلسي عليه الرحمة يريد أن يميز بين حضورين، الإنسان له نفس وجسم، ما هو الفرق بين حضور جسمي في هذا المكان وبين حضور نفسي لجسمي، ما هو الفرق بين الحضورين؟

حضور النفس للجسم من حضور المفارقات المجردات لأنهم يعتقدون في المعقول أن النفس من المجردات والجسم من الماديات، فحضور النفس للجسم ليس حضور احتواء ليس الجسم محتويا على النفس، حضور النفس للجسم مع أن النفس من المفارقات المجردات ليس حضور احتواء، وإنما إحاطة علمية، يعني النفس محيطية بالجسم إحاطة علمية هذه الإحاطة العلمية هي الحضور.

بينما حضور الجسم للجسم جسمي حاضر لهذا الجسم الثاني، حضور الجسم للجسم من حضور المقارنات، جسم اقترن بجسم آخر حضور المقارنات المادية من قبيل الحصول الأيني، يعني حصلا في مكان واحد أو هذا حصل عند هذا، فالجامع بينهما هو مقولة الأين.

ثم قال وحضور الحق تبارك وتعالى بالنسبة إلى المخلوقات من قبيل الأول وهو حضور الإحاطة العلمية، حضوره تعالى لنا وحضورنا عنده ليس إلا بمعنى علمه ليس إلا بمعنى الإحاطة العلمية.

هذا الذي ذكره قدس سره في بيان هذا المعنى يلاحظ عليه إقحام هذه المفاهيم الحكيمة وإقحام هذه

(١١) أصول الكافي للشيخ الكليني/ كتاب التوحيد/ بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْكَلَامِ فِي الْكَيْفِيَّةِ: ١/ ٩٤ / ح ٩.

(١٢) مرآة العقول للعلامة المجلسي: ١/ ٣٢٦.

المفاهيم المؤسسة في علم المعقول في تحديد المراد من الآية أو من الرواية الشريفة، إذا كان من باب التقريب تقريب المفهوم للذهن لا بأس الإنسان يقرب مفهوم الآية أو مفهوم الرواية للذهن بأن يطرح مثل هذه المصطلحات ويقوم بشرحها، أما إذا كان من باب البيان وتحديد المعنى فلا، القرآن الكريم مثلاً عبر عن علاقة الله بالإنسان بعدة مفاهيم أما حملها كلها على الإحاطة العلمية بلا وجه، القرآن الكريم عبر عن قرب الله تبارك وتعالى من الإنسان تارةً بالقيومية (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) (١٣) وعبر عن هذه القيومية في بعض الآيات (وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ) (١٤) هذا تعبير عن القيومية القيومية لها مفهوم، وعبر أخرى عن هذه العلاقة بالعلم (إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (١٥) وقوله تعالى (وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) (١٦) علمه بكل شيء، وكما عبر بالقيومية وكما عبر بالعلم عبر أيضاً بالقرب (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ) (١٧) وقوله تعالى (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ) (١٨) وقوله تعالى (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) (١٩) فحمل كل هذه المفاهيم القرآنية على الإحاطة العلمية بلا وجه، علاقة الله بمخلوقاته هي إحاطة علمية لأنه من المفارقات المجردات، القرآن عبر عن هذه العلاقة بالقيومية تارةً وبالعلم أخرى وبالقرب ثالثة والظاهر أنها مفاهيم مختلفة وبالتالي حصرها في أن علقته بنا علاقة علم فاعل بفعله هذا ليس تاماً، ولذلك ليس عندنا إلا قول الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام (داخل في الأشياء لا بالممازجة وخارج عنها لا بالمباينة) (٢٠) سنخ علقته بالمخلوقات سنخ لا هو ممازجة ولا هو مباينة، أما أن نقول أن هذا هو الإحاطة العلمية هذا محل تأمل واضح.

المقطع الثاني: (قَالَ وَكَيْفَ هُوَ؟ قَالَ وَكَيْفَ أَصِفُ رَبِّي بِالْكَيفِ وَالْكَيفُ مَخْلُوقٌ وَاللَّهُ لَا يُوصَفُ بِخَلْقِهِ)

الكيف إما هو عين ذاته أو زائد على ذاته، إذا كان عين ذاته إذن لا معنى لأن يسأل كيف هو والحال بأن كيفه

(١٣) سورة آل عمران، آية ٢، صفحة ٥٠.

(١٤) سورة الزمر، آية ٦٧، صفحة ٤٦٥.

(١٥) سورة الشورى، آية ١٢، صفحة ٤٨٤.

(١٦) سورة الأنعام، آية ٥٩، صفحة ١٣٤.

(١٧) سورة الحديد، آية ٤، صفحة ٥٣٨.

(١٨) سورة ق، آية ١٦، صفحة ٥١٩.

(١٩) سورة الفتح، آية ١٠، صفحة ٥١٢.

(٢٠) التوحيد - الشيخ الصدوق - الصفحة ٣٠٦.

هو عين ذاته، وإذا كان زائداً على ذاته فكل ما ليس بذاته فهو مخلوق له، كل ما سواه فهو مخلوق له وإذا كان مخلوقاً له فكيف يكون كيفاً له، كيف يكون صفةً له وهو مخلوق له، لو كان ما سواه صفةً وكيفاً له للزم احتياجه إلى ما سواه، واحتياجه إلى خلقه نقص في وجوده والنقص مساوق للعدم والفقر، إذن والكيف مخلوق والله لا يوصف بخلقه.

(قَالَ فَمِنْ أَيْنَ يُعْلَمُ أَنَّكَ نَبِيُّ اللَّهِ قَالَ قَمَا بَقِيَ حَوْلَهُ حَجَرٌ وَلَا غَيْرُ ذَلِكَ إِلَّا تَكَلَّمَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ يَا سُبْحَتُ إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وآله وسلم- فَقَالَ سُبْحَتُ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ أَمْرًا أَتَيْنَ مِنْ هَذَا ثُمَّ قَالَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ) (٢١).

الحديث العاشر: (عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى الْحَنْتَعَمِيِّ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَتِيكَ الْقَصِيرِ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ شَيْءٍ مِنَ الصِّفَةِ -يعني صفة الله- فَرَفَعَ يَدَهُ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى الْجَبَّارُ تَعَالَى الْجَبَّارُ مَنْ تَعَاطَى مَا تَمَّ هَلْكَ) (٢٢).

سألتني عن الصفة إذا كنت تريد أن تدرك عظمة الله فانظر إلى عظيم خلقه أما أنك تريد أن تعرف ذاته أو صفاته معرفة حقيقية لا يمكنك الوصول -تَعَالَى الْجَبَّارُ- الجبار الذي يتعذر الوصول إليه -تَعَالَى الْجَبَّارُ- أن تصل إليه بذهنك -مَنْ تَعَاطَى- تعاطى يعني تصدى تعنى أراد أن يصل -مَنْ تَعَاطَى مَا تَمَّ- أي أراد أن يصل إلى ما هناك إلى صفة ذاته تبارك وتعالى -هَلْكَ- ضل وأضل لأن عقله لا يمكنه الوصول إلى ما وراء ذلك.

تم الكلام في هذا الباب، يصل الكلام إلى باب في إبطال الرؤية.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

(٢١) أصول الكافي للشيخ الكليني/ كتاب التوحيد/ بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْكَلَامِ فِي الْكَيْفِيَّةِ: ١/ ٩٤ / ح ٩.

(٢٢) أصول الكافي للشيخ الكليني/ كتاب التوحيد/ بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْكَلَامِ فِي الْكَيْفِيَّةِ: ١/ ٩٤ / ح ١٠.